وبرهان فانه لا تأسية ولا عزاء فيها بالاطلاق كما ان الخراب رفيقها والشوءم تلوها وزميلها والذم موءرخها ومسجلها فيا عجبا للمرء تبلوه الدنيا بحرب ضارة لا بد منها فيزيد على ضررها ضررا وقتل الانسان ما اكفره كتب عليه الموت والحذر منه فما قنع حتى زاد عليه القتل حذرا

المرأة في الريف

سيدتي الفاضلة صاحبة مجلة الانيس الزاهر

اطلعني حضرة شقيقي العزيز محمود افندي ابرهيم على مقالة خطها يراعه وتفضلتم بنشرها في مجلتكم الزاهرة يشرح فيها حالة المرأة في الريف وما هي عليه من التعاسة والشقاء وما يعاملها به الرجل من الفظاظة والقسوة والامتهان فطالعتها بامعان فرأيت منه الغيرة التامة والشفقة الزائدة على هذا الجنس اللطيف حتى ادى به ذلك الى مطالبة هيئة حكومتنا المصرية بسن قانون للنساء يكون حائلاً بين استبداد الرجل بالمرأة ومفصلاً لحقوق كل من الزوجين على الاخر

وقد وقعت في نفسي هذه المقالة موقع القبول واستسمحته في مناقشته في هذا الموضوع وان كان قدري ومقامي في عالم التحرير لا يسمحان بذلك فسمح حفظه الله لانه اول من يحترم حرية الفكر ويحب البحث في الرأي ولهذا شحذت الفكرة واستنهضت الهمة وها انا اقول :

لا مشاحة ان المرأة الريفية تعيسة الحظ وفي حالة انحطاط لا يعادلها انحطاط في نساء العالم اجمع الا اللواتي اقمن في الجبال وسكن المغاور والرمال فتركهن في هذه الحياة التعيسة مع اننا مقيمون في بلاد خيمت عليها المدنية والرفاهية عار علينا وسواد لتاريخنا وتنغيص لحياتنا التي لا تكون مع هذه الحالة السيئة حياة مدنية صحيحة بل وحشية همجية

فاذا عرفنا ذلك احتجنا للبحث في الوسائل الممكن معها نشل هذا الجنس من وهدة انحطاطه وشقائه فقد قال حضرة الشقيق باستحالة تحرير هذه المرأة الريفية من عبوديتها للرجل الريفي الا بقانون تضعه الحكومة مبين فيه ما يجب على المرأة والرجل من الحقوق والواجبات وينص فيه بعقاب لمن يتعدى تلك الواجبات من الطرفين وبهذه الوسيلة يقف كل منهما عند حد لا يتعداه فلا الرجل يستبد بالمرأة ويعاملها بالفظاظة والخشونة ولا المرأة تقصر في واجباتها للرجل فتعرض نفسها لسخطه وعقابه

اما انا فاقول ان هذا القانون لا يكفي لتحرير المرأة بل ربما كان لو اعارت الحكومة اذناً له والتفاتاً اليه سبباً في شقاء المرأة وتعاستها اكثر مما هي عليه الان فيقوم الرجل يحاسبها على كل هفوة ويستعمل سلطته عليها ويزيدها قسوة وامتهاناً واما اذا قصر هو فيما عليه من الحقوق فلا سبيل لها عليه ولا هي قادرة ان تحاكمه او تطالبه بالمحافظة على هذه الحقوق والواجبات لانها لو عملت ذلك لقضى عليها الزوج بالطرد والفراق فتزيد الحالة خطارة وقبحاً فيكثر الشقاق والفراق اكثر مما هو الان وتصبح العائلات الريفية في فوضى واختلال وتسوء حالها ويكون اصلاحنا لها ضرراً عليها من حيث لا نريد الا نفعها واصلاحها

اذن فالاصلاح الحقيقي للمرأة الريفية الذي ينشلها من وهدة الانحطاط الى مراقي المدنية هو بث روح التعليم الصحيح فيها وغرس مبادي الفضيلة في نفسها لتعرف بنفسها الحقوق التي لها او عليها فلا تحتاج لسلطة الحكومة او قوانينها وكذلك تعليمها لا يكفي وحده في ايقاف تيار الانحطاط الجارف لها وللرجل على السواء في هذا الطريق بل لا بد ايضاً من تعليم الرجل وايقافه على حقائق الامور وانه خلق في العالم انساناً عاملاً عاقلاً مميزاً لا وحشاً ضارياً يضرب زوجته ويريها من ضروب القسوة والاستبداد ما تقشعر منه الابدان وتهتز له مدنية اخر الجيل التاسع عشر تألماً وحزناً

ورب قائل يقول كيف يتعلم هولاء النساء والرجال الكثير والعدد والذين هم سواد الامة المصرية تقريباً وكم يلزم لتعليمهم وتهذيبهم من الاعوام والاحقاب قلنا من سار على الدرب وصل ومن سعى لنيل غرض تحصل عليه فلو اتحد نساء مصر المهذبات المتمدنات والفن جمعية كبرى تشترك فيها كل امرأة منهن ويتقرر عليها نفقة سنوية تدفعها على قدر يسارها والمتجمع منهن يستخدم في انشاء مكاتب صغرى في بلاد الريف لتعليم الفتيات مبادي القراءة والكتابة والدين وتدبير المنزل حسب عادة الريف لكثرت هذه المكاتب على توالي الايام ولخرج منها نساء مهذبات يعرفن حقوقهن وحقوق الرجل فيتمتعن بالراحة والرفاهية بدل الذل والهمجية

وكذلك تنشأ في كل مديريه جمعية تشترك فيها سراتها واغنياؤها فينشئون في كل قرية وبلدة مكتباً لتعليم الاطفال ما يلزم لتثقيف عقولهم وتنوير اذهانهم. وهذه هي الاسباب الفعالة لتقدم نساء الريف ورجاله ايضاً وارتقائهم في معارج المدنية الصحيحة على ما ارى وليس علي جناح اذا صرحت

بفكري وطرحته على الادباء والاديبات ولهم البحث فيه والانتقاد عليه ان كان يرى احدهم او احداهن ذلك ولا بد من تفاوت الافكار واختلاف الاراء

واما ما قاله حضرة الشقيق عن اعمال المرأة في الريف ووصفها بانها من الاعمال الشاقة التي لا قبل لها بها ولا احتمال لها على ادائها فانا ارى بالعكس انها بسيطة بالنسبة لها وبديهي ان من واجبات المرأة الريفية القيام باعمالها المذكورة بمقالة الشقيق وليس فيها شيء زيادة عن حد طاقتها بل هي عين وظيفتها الحقيقية ولم نسمع ان نساء الريف خصص لهن خادمات يقمن باعمالهن ويجلسن هن على مراتب الراحة والرفاهية بل الذي نعرفه ان امرأة الريف تعمل بنفسها كل لوازمها على اختلافها وتنوعها وتساعد ايضاً زوجها في اعماله الزراعية وهي لا تشكو من ذلك . وكيف تشكو من وظيفتها لاسيما وقد اوجدتها الطبيعة في حالة صحية تساعدها على القيام باعباء هذه الخدم بخلاف نساء المدن والامصار فان ضعف جسمهن ورفاهيتهن تحول بينهن وبين خدمة بيوتهن الا القليل منهن اللواتي لا يعتمدن الا على انفسهن في القيام بحاجات منازلهن وبناء على ذلك يكون القول بكثرة اعمال المرأة الريفية وصعوبتها عليها غلواً يسامحني حضرة الاخ لو قلت انه احدثته الشفقة الزائدة على نساء الريف واوجبه عدم تعوده الاقامة فيه ومباشرة اعمال هذه المرأة التعيسة

واذا قسنا حالة المرأة والرجل في ريف اوربا بحالتها هنا نجد الفرق ظاهراً فالمرأة هناك فضلاً عن معارفها المنزلية في ادارة وتدبير المنزل فانها عارفة بفن الزراعة ولوازمها تقيم في عيشة هنية وراحة بال لا يكدرها

استبداد زوج ولا قسوة بعل بل هي والزوج جسمان فيهما روح يخدمان في ارضهما ويشتغلان في منزلهما بطيب نفس لا يتعدى احدهما على حقوق الاخر وفضلاً عن اعمال الاوربيين الزراعية فانهم لا يتركون الاشتراك في الجمعيات ولا الوقوف على حركة بلادهم وماجرياتها والحاصل فيها ويقرأون الجرائد كل يوم ويفهمون ما يحصل في الكرة الارضية ويعرفون بلاد العالم وما فيها من انهار وجبال ومعادن ومناجم مع ان المرأة هنا في مصر ان كانت من نساء الامصار او الريف لا تعرف غير البلدة التي عاشت وتربت فيها واغلبهن لا يعرفن السلطان او الامير او الوالي او الحاكم بل هن كالحيوانات ينطقن ولولا النطق لحسبناهن عجماوات ولعددناهن جمادا

اجل بنظرك ايها القارئ الكريم وانظر نظرة عامة في حالة النساء في مصر تجدها على العموم في اشد الانحطاط والتعاسة وهذا هو سبب تأخيرها ولا تظن ان هذه المدارس كافية لتعليم النساء او ينتظر من ورائها كبير فائدة ما دامت ابوابها موصدة لغير الاغنياء والموسرات وكم يكون بالله عددهن فى جانب الفقيرات المسكينات اللواتي يطفن الشوارع والازقة في حالة يرثى لها مع انهن لو تهذبن وتربين لنبغن نساء امهات رجال ربما كانوا عضداً للدولة والوطن

ومما يضاعف الحسرة ما اخبرني به شقيقي العزيز من ان النساء اذا جئن متهمات في قضايا بالجلسة وسألهن القاضي عن عمرهن لاجبن بانهن لا يعرفن فاذا كانت المرأة لا تعرف عمرها فما الذي تعرفه ؟ فوايم الله انها حالة تبكي وتحزن لا يستطيع الانسان معها ان يمنع انهمال الدمع لو كان ذا جسم حي يشعر ويتألم بمصائب ابناء جنسه وبناته

ولما كان حضرة الشقيق قد اقترح في مقالته على فتيات العصر ونسائه السعي في تحرير اختهن المرأة الريفية وكنت احدى اولئك الفتيات فقد آليت على نفسي ان لا اتأخر عن القيام بحقوق الدفاع عن المرأة الريفية التعيسة واقفة قلمي لخدمتها والذود عن حقوقها ونشلها من وهدة الانحطاط التي انغمست فيها

ولعمر الحق انه لا يحسن ترك الرجل الريفي يتصرف في المرأة تصرف القوي بالضعيف ونحن متمتعات بالراحة والحرية الشخصية ناعمات العيش هادئات البال

وقبل ان اختم مقالي ادعو اخواتي الاديبات اللواتي يردن خدمة الانسانية والسعي في اعلاء شأن بنات جنسهن ان يضممن صوتهن الى صوتي ويشاركنني في انهاض اهل الهمم واليسار والبر وفضليات وفضلاء اهل القطر لتأسيس الجمعيات الخيرية وتعليم النساء الريفيات وتهذيبهن والا فاذا اقعدتنا السفاسف واشغلتنا الازياء والزخرفة والانس عن هذا المسعى الحميد فلنأسف على حياتنا ولنندم مستقبلنا ولنستعد لموتنا الموت الادبي الذي ليس بعده موت والسلام

« ز .. »